وَإِنَّ الَّـذِي سَـمَّـى عَـلِـيًّـا لَـمُـنْـصِـفٌ،
وَإِنَّ الَّـذِي سَـمَّـاهُ سَـيْـفـاً لَـظَـالِـمُـهْ[١]
وَمَـا كُـلُّ سَـيْـفٍ يَـقْـطَـعُ الْـهَـامَ حَـدُّهُ،
وَتَـقْـطَـعُ لَـزْبَـاتِ الـزَّمَـانِ مَـكَـارِمُـهْ[٢]

وإذا كانت النفوس كباراً

يمدحه وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية:

[الخفيف]

أَيْـنَ أَزْمَـعْـتَ أَيُّـهَـذَا الْـهُـمَـامُ
نَـحْـنُ نَـبْـتُ الـرُّبَـى وَأَنْـتَ الـغَـمَـامُ[٣]
نَـحْـنُ مَـنْ ضَـايَـقَ الـزَّمَـانُ لَـهُ فِـيـ
ـكَ وَخَـانَـتْـهُ قُـرْبَـكَ الأَيَّـامُ[٤]
فِـي سَـبِـيـلِ الْـعُـلَـى قِـتَـالُـكَ وَالـسِّـلْـ
ـمُ وَهٰـذَا الـمُـقَـامُ وَالإِجْـذَامُ[٥]

---

(١) و (٢) لزبات الزمان: شدائده. يرى الشاعر أن تسمية الأمير بعلي كانت في مكانها، لأنه رفيع المنزلة عالي الهمة والمقام، ومن لقّبه سيفاً، فقد بخسه حقّه، لأن السيف شيء مادي، فيصدأ وينبو، فضلاً عن احتياجه للإرادة، فالحديد لا يعمل بذاته، إنما بإرادة حامله وقوّته، والأمير يعمل على دفع المصائب عن المحتاج بماله وحمايته وشجاعته، لذا فمن الظلم والخطأ أن يسمّى السيف.

(٣) أزمع: عزم على الأمر. الهمام: الملك العظيم. الربى، الواحدة ربوة: ما ارتفع من الأرض. الغمام: السحب المليئة بالماء. يُخاطب الشاعر ممدوحه مستفسراً عن مسيره وسببه؛ إنه ملك عظيم، وبيده مقاليد كلّ شيء، إنه غمام عمَّ فيضه وغيثه تلك التي تعانق السماء، فإذا بالنبت تدبّ فيه الحياة وينتعش به الأمل، لذا يسأله إلى أين المسير، والبشر رهن إشارته يأتمرون بأمره، وهو سرّ حياتهم لأنهم نبت يديه فيه ومنه يعيشون، وفي حال تخلّيه عنهم، فلا بدّ للبياس أن يدبّ فيهم.

(٤) إنَّه من سوء حظّ الشاعر ومن لفّ لفّه أن يُشارك الزمان بالممدوح، فضلاً عن أن يستأثر به لنفسه دونهم؛ فهم بحاجة إليه لدفع الفاقة عنهم، فليس من العدل أن ينفرد به دون سائر الناس.

(٥) الإجذام: الإسراع في المسير. يُنوّه الشاعر بسعي سيف الدولة الجادّ إلى إدراك =

لَـيْـتَ أَنَّـا إِذَا ارْتَـحَـلْـتَ لَـكَ الْـخَـيْـلُ وَأَنَّـا إِذَا نَـزَلْـتَ الْـخِـيَـامُ[١]

كُـلَّ يَـوْمٍ لَـكَ احْـتِـمَـالٌ جَـدِيـدٌ وَمَـسِـيـرٌ لِـلْـمَـجْـدِ فِـيـهِ مُـقَـامُ[٢]

وَإِذَا كَـانَـتِ الـنُّـفُـوسُ كِـبَـاراً تَـعِـبَـتْ فِـي مُـرَادِهَـا الأَجْـسَـامُ[٣]

وَكَـذَا تَـطْـلُـعُ الْـبُـدُورُ عَـلَـيْـنَـا وَكَـذَا تَـقْـلَـقُ الْـبُـحُـورُ الْـعِـظَـامُ[٤]

= المعالي، وسواءٌ أكان ذلك في الحرب أم في السلم، فالهدف واضح لديه وسواء أكان ذلك في حال الإقامة أم في المسير بسرعة إلى بُغيته.

(١) يتمنّى الشاعر ومن معه أن يكونوا بإمرة الأمير في حال ارتحاله يُشاركونه بأعماله ويُسهّلون له أموره، فيتحمّلون معه المشقات في حال ترحاله ونزوله، وليكونوا مع الخيول ينقلون أمتعته، وليكونوا بمثابة الخيام يسترونه من حرّ السماء وهطول الأمطار.

(٢) يروى «ارتحال» بدلاً من «احتمال». وهما بمعنى واحد. لغة الأرقام تُحسب بالأيام، بل بالسّاعات لمن يُقدّر قيمة الحياة، فالأمير لا يستكين إلى الدعة وراحة البال شأن سواه من الملوك، بل إنه دائم المسير والارتحال في سبيل طلب المعالي حيث يُقيم المجد، وإن يرحل المجد برحيله، فسيسعى به ومعه.

(٣) يُعقّب الشاعر على كلامه معلّلاً مسلك الأمير بأنه ذو نفس عظيمة لا حدّ لها، تبغي له العلاء والمجد، والجسم مهما ضخم يبقى الأداة التي بواسطتها يُحقّق المرء مبتغاه في هذا الوجود، وقد يُدركه الموت بعجلة فيموت وفي قلبه الحسرات، لذا فمهما حقّق منها، فإذا به يطلب المزيد.

(٤) يتأسى الشاعر بتوالي البدور على البشر تنير حياتهم بأنسها وضوئها، حتى البحار العظيمة فإنها بحركة دائمة لا تستكين أبداً، موج وعواصف ورزق عظيم لا ينفد، وتستمرّ الحياة على هذه الوتيرة، وشأن الطبيعة كشأن الأمير، حركة دؤوب لا راحة فيها ولا استكانة، تماماً كالبدور والبحار في ما توجبه من قوّة الحياة وزخمها الذي لا يتوقّف.

وَلَـنَـا عَـادَةُ ٱلْـجَـمِـيـلِ مِـنَ الـصَّـبْـرِ لَـوَ ٱنَّـا سِـوَى نَـوَاكَ نُـسَـامُ[١]

كُـلُّ عَـيْـشٍ مَـا لَـمْ تُـطِـبْـهُ حِـمَـامٌ كُـلُّ شَـمْـسٍ مَـا لَـمْ تَـكُـنْـهَـا ظَـلَامُ[٢]

أَزِلِ الْـوَحْـشَـةَ الَّـتِـي عِـنْـدَنَـا يَـا مَـنْ بِـهِ يَـأْنَـسُ الْـخَـمِـيـسُ الـلُّـهَـامُ[٣]

وَالَّـذِي يَـشْـهَـدُ الْـوَغَـى سَـاكِـنَ الْـقَـلْـبِ كَـأَنَّ الْـقِـتَـالَ فِـيـهَـا ذِمَـامُ[٤]

وَالَّـذِي يَـضْـرِبُ الْـكَـتَـائِـبَ حَـتَّـى تَـتَـلَاقَـى الْـفِـهَـاقُ وَالأَقْـدَامُ[٥]

---

(١) النوى: البعد. نسام: نتجشم الأمر. العادة تتأصل في النفس؛ فطول العشرة تجعل المرء يتآلف مع من يُعاشره، حتى في نظام العمل الذي يزاوله الناس، فيكف إذا كان الأمر يتعلّق بشخص كالأمير؟ لذا فالشعور بالفراق يُؤلم، فالصبر على تحمّل الآلام والمحن أهون بكثير من فراق الأحبَّة، لذا لا صبر للشاعر على بعد الأمير ولا قدرة على احتمال حدث كهذا.

(٢) الحمام: بكسر الحاء: الموت. يردف الشاعر مخاطباً الأمير بأنه سرّ الحياة ونعمتها، فطيبها بوجوده ورفده وحياته، وأنه بمثابة شمس تشرق بضيائها ودفئها وعمومها سائر الكون، وهو نور يبدّد ظلمة الحياة وقساوتها تماماً كالشمس بشمولها واتّساعها وجبروتها وقوتها.

(٣) الخميس: الجيش المؤلف من خمس فرق. اللهام: العظيم الذي يلتهم كلّ شيء ويهلكه. ويُردف بأن الشاعر ومحبي الأمير يُحسون بالغربة والوحشة في حال رحيله دونهم، لأنه أنسهم، فحتى الجيش العظيم الذي يلتهم جيوش الأعداء يأنس بقيادته الحكيمة وبأسه وشجاعته، فيضمن النصر في حال كهذه.

(٤) ورد البيت في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣٧٥. الوغى: الحرب. الذمام: العهد. يردف الشاعر مادحاً الأمير بأنه قوي الجنان، ثابت القلب يخوض رحى الحرب مطمئناً كأن بينه وبين الحروب عهداً بحمايته، فلا يصل إليه مكروه.

(٥) الكتائب، الواحدة كتيبة: الفرقة من الجيش. الفهاق، الواحدة فهقة: العظم عند =

وَإِذَا حَـــلَّ سَـــاعَـــةً بِـــمَـــكَـــانٍ
فَـــأَذَاهُ عَـــلَـــى الـــزَّمَـــانِ حَـــرَامُ(١)
وَالَّـــذِي تُـــنْـــبِـــتُ الْـــبِـــلَادُ سُـــرُورٌ،
وَالَّـــذِي تَـــمْـــطُـــرُ الـــسَّـــحَـــابُ مُـــدَامُ(٢)
كُـــلَّـــمَـــا قِـــيـــلَ قَـــدْ تَـــنَـــاهَـــى أَرَانَـــا
كَـــرَمـــاً مَـــا ٱهْـــتَـــدَتْ إِلَـــيْـــهِ الْـــكِـــرَامُ(٣)
وَكِـــفَـــاحـــاً تَـــكِـــعُّ عَـــنْـــهُ الأَعَـــادِي
وَارْتِـــيَـــاحـــاً يَـــحَـــارُ فِـــيـــهِ الأَنَـــامُ(٤)

= موصل الرأس والعنق. يُتابع الشاعر مدح الأمير بأنه قوي البطش يُفني الجيوش بسيفه بعزم قوي فإذا به لعظم الضربة يفلق رأس الخصم حتى يصل حدّ سيفه إلى فهقة خصمه فيشقّ العظم حتى العنق.

(١) و (٢) يُتابع الشاعر مدح الأمير منوّهاً بالخير والأمان والأمن حيثما حلَّ، فإذا نزل بمكان حلّت البركات بوصوله إليه وانعدمت الفواجع والمصائب فيه لأنه أصبح تحت حمايته، فإذا بالزمان يُقلع عن فواجعه الطبيعية والمعيشية والأمنية، إنه في عهدة أيدٍ أمينة خيّرة، فالنبت يستحيل فرحاً يسرّ العين ويطمئن القلوب بفيض زرع وفير ومطر غزير، فالناس يحصدون ويعصرون خمراً. فيعمّ الفرح ويغمر القلوب سرور، وتقام الأفراح والأعراس في ظل ضامن للحياة والأمن.

(٣) تناهى: بلغ نهايته. في مثل جوّ كهذا ثمّة من يقول: في ظل أمير كهذا قد أدركنا منتهى السعادة، فإذا بالأمير يهتدي إلى ابتداع فنون جديدة في الكرم لم يُسبق إليها، فالكرام قد قصّروا عن الاهتداء إليها.

(٤) تكعّ: تجبن وتضعف. الارتياح: الإسراع بالبذل واصطناع المعروف. الأنام: الخلق. ينوّه الشاعر بشجاعة الأمير، إنه يُثير الرعب في قلوب أعدائه لقوّته وشجاعته، فإذا بهم ينهزمون نفسياً للرعب الذي يسببه قتاله لهم، وبذلك يسهل القضاء عليهم، وهو في نفس الوقت كريم، فأريحيّته تُثير دهشة الخلق لكثرة ما يُنفق في سُبُل الخير.

إِنَّـمَـا هَـيْـبَـةُ الـمُـؤَمَّـلِ سَـيْـفِ الـدَّ
وْلَـةِ الـمَـلْـكِ فـي الْـقُـلُـوبِ حُـسَـامُ[١]
فَـكَـثِـيـرٌ مِـنَ الـشُّـجَـاعِ الـتَّـوَقِّـي
وَكَـثِـيـرٌ مِـنَ الْـبَـلِـيـغِ الـسَّـلَامُ[٢]

درة تاج الخليفة

وقال يمدحه أيضاً:

[الكامل]

أَنَـا مِـنْـكَ بَـيْـنَ فَـضَـائِـلٍ وَمَـكَـارِمٍ
وَمِـنِ ارْتِـيَـاحِـكَ فـي غَـمَـامٍ دَائِـمِ[٣]
وَمِـنِ احْـتِـقَـارِكَ كُـلَّ مَـا تَـحْـبُـو بِـهِ؛
فِـي مَـا أُلَاحِـظُـهُ بِـعَـيْـنَـيْ حَـالِـمِ[٤]
إِنَّ الْـخَـلِـيـفَـةَ لَـمْ يُـسَـمِّـكَ سَـيْـفَـهَـا
حَـتَّـى بَـلَاكَ فَـكُـنْـتَ عَـيْـنَ الـصَّـارِمِ[٥]

---

(١) و (٢) وممّا ساعد سيف الدولة على النصر على أعدائه هيبة تخلع قلوبهم وتردعهم عن التمادي بعدائه، وتلك من سيوفه، ولكنها أشدّ وقعاً في قلوب أعدائه فيجنحون إلى المهادنة والمسالمة، ولذا فليس الأمير بحاجة إلى استعمال السلاح. لذا فمن مصلحة الشجاع، ومهما بلغت شجاعته، أن يتّقيه، فيحفظ نفسه ويصون كرامته، فيعيش بسلام حتى البليغ الأريحيّ إن استطاع أن يُسلّم عليه ويُصافحه يكون قد ضمن حياته وسعادته؛ فهيبته تحتّم على البشر ألّا ينطقوا بين يديه، إلّا إذا أراد، والبسمة تعلو شفتيه.

(٣) وردت القصيدة في الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٨ ـ ١٣٩. الارتياح: انشراح النفس واهتزازها للعطاء. يتحدث الشاعر عن ممدوحه، إنه في حالة اندهاش لما يجده في ممدوحه، ففضائله الخلقية والذهنية لا تُوصف ولا تحدّ لعظمها في شخصه ومكارم أخلاقه، فضلاً عن كرمه الذي لا ينقطع وكأنه غمام دائم الهطول.

(٤) تحبو به: تسخو به. يُردف الشاعر مفنداً أسباب دهشته، فما يلفت نظره كرمه الذي لا يُوصف إنه يستصغر كلّ ما يجود به إلى مستحقيه، إنه محض خيال لا يُوجد حتى في الخيال، لأن ما رآه الشاعر من كرم فاق حدّ الوصف لم ير مثله في من عرف ممّن يدّعون الجود.

(٥) بلاك: اختبرك. الصارم: السيف القاطع. يُتابع الشاعر أن الخليفة قد أصاب كبد =